Le Caire -17 —4— 1950

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

17me année No 876

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

اوروبا
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ١٧ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

صور من الحياة :

قلوب من حجر

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

قلت لصاحبي : ما بال هذا الفتى يصعر خده في كبر ويتطاول في صلف ، وينظر إلى هذا الناس في احتقار كأنه يرمق بموشة ضاوية عرجاء ؟ ثم هو يتأنق في زينته ويزهى في إهابه ؟ على حين أنه مابرح في أول الطريق لم يبلغ الغاية التي تصبو إليها نفس ، ولا سما إلى المنزلة التي يفرح بها قلب .

فهمهم صاحبي في أسى كأنما يحدث نفسه : آه لو انشق عنه إهاب الانسان لرأيت من خلاله صورة كلب ! إن الانسانية — ياأخي — حين تتهاوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

قلت : وماذا عسى أن يكون شأنه ؟

قال : إن له لقصة فيها عبرة للعقل وعظة للقلب

فقلت : هاتها

قال : آه لو رأيت هذا الفتى وهو صبي في فجر الحياة يضطرب في دار عمه ، يفتش في زواياها عن حنان الأم فلا يجده ، ويبحث في أركانها عن عطف الأب فلا يلمسه ، لأنهما ماتا عنه طفلا وخلفاه بين يدي عمه . وشعر الصبي — منذ أول العمر — بأن الحياة خاوية من الرحمة خالية من الشفقة ، لا تفيض بالسعادة ولا تخفق باللذة ، فنزل عن طفولته كارها ، وعاش في دار عمه حينا من الزمان ، وعمه رجل فيه قسوة الطبع وجفاء الخلق ، يحس وطأة الضيق ويستشعر شظف العيش ، ومن ورائه أولاده يستحثونه إلى غاية فهو يستل قوتهم من براثن الفاقة في جهد ، وينتزع اللقمة الجافة من مخالب الفقر في كد ، وهو لا يرى في ابن أخيه إلا عالة تثقل كاهله وتكثر من عياله ، فرماه بالجفوة وأخذه بالعنف . وسرى داء الأب إلى أبنائه فتدافعوا إلى ابن عمهم يقذفونه بالسباب ويلطمونه بالقسوة ، يدعونه عن الطعام ويدفعونه إلى العمل ، فعاش عبداً بين سادة غلاظ شداد يتمنى الخلاص فلا يبلغه ، ويرجو المفر فلا يناله ، وإن في قلبه أسى يسلبه القرار ، وإن في نفسه ذلة ترغمه على الصبر .

وأحس الصبي بالضنى من أثر الجوع ، وشعر بالضنى من أثر الإرهاق ، وأصابه الكلال من شدة الغلظة ، فانطوى على كراهية تؤجج في صدره ، وانضم على مقت أبنائه مقتا ينفث فيه روح الشر والانتقام ، ثم عقد العزم على أمر وإلى جانبه صبي في مثل سنه يعينه على شأنه ويزين له الرأي ويسول له أن يطير صاعداً إلى غير غاية .

وعند مطلع الفجر هب الرجل — كدأبه — ينادي ابن أخيه ، عبد الدار ، ليقذف به — كشأنه أبداً — في غمرة العمل الشاق العنيف ، فما راعه إلا أن يرتد إليه صدى صيحاته ثم يتلاشى في سكون الدار . وأزعجه أن يرى الصبي الماق يصم أذنيه عن ندائه لأول مرة في حياته ، فاندفع يزجر يريد أن يبطش بالصبي اليتيم ، غير أن الصبي كان قد فر من بين يديه الغليظتين ، فثارت ثائرته واضطرم غضبه على أن ينفلت الطير من شباكه وهو يرى ولا يستطيع أمرا

وأحس الأسير الذي ولد مكبلا في قيود ثقال... أحس بالحرية التي لم يتذوقها أبداً فانطلق يشدو ويثب ويضحك وإلى جانبه صاحبه يشاركه نوازع نفسه الطروب ، ويشاطره أفراح قلبه النقي

وهبط الصبي القاهره بعد أيام — فتاه في لجة المدينة ، وتقاذفته أمواج الحياة ، لا يستقر في مكان ولا يهدأ إلى عمل ، ثم ساقه الحظ إلى دار سيد من ذوي الثراء والجاه ، فراح يقلب ناظريه فيما حواليه من رواء وأناقة وقد خلبته أبهة المكان وسحرته روعة الدار وأذهلته هيبة العظمة ، فامتلأت نفسه رهبة وخشوعاً . ووقف أمام سيده ، سعادة البك ، فاضطربت روحه من خوف ، وارتعدت فرائصه من فرق ، وتلجلج لسانه من فزع . ورأى البك الصبي القروي يوشك أن يتناثر من رعب فهم من مجلسه يريد أن يهدىء من روعه ؛ ولكن خيل للصبي أنه هم ببطش به حين آذاه ما سيطر عليه من ارتباك وخوف ، ففزع حشية أن يصفعه السيد في غلظة مثلما كان يصفعه عمه من قبل ، فزلت قدمه فهوى فانطرح على الأرض ؛ فابتسم سعادة البك لما رأى ، ثم أخذ يسكن من جأشه بكلمات فيها الرقة والعطف حتى أفرغ روعه واطمأنت نفسه .

لقد شهد الصبي — إذ ذاك شيئاً لم يره أبداً فقال لنفسه « يا عجبا ! أفي الناس رجل يعطف على أنا الضائع المسكين ؟ لطالما شعرت بأن العالم كله لا ينضم إلا على خشونة الطبع وجفاء الخلق ودنس النفس أشياء لستها في عمي الفظ الغليظ ! »

واندفع الصبي في عمله يتوثب نشاطا ويتألق اخلاصاً ، لا يني عن الطاعة ولا يتريث عن الخضوع ، حتى رضي سيده واطمأن نحصه بفضل من عنايته رشحه بفيض من عطفه ، فسرت سمات الحياة في عروقه ، وتوهجت علامات العافية في وجهه ، وانسربت معاني الصحة في دمه ، فبدا وثيق الأركان صلب العود جياش الحركة خفيف الظل

ورأى البك في الصبي القروي شمائل حببته إليه وقربته منه ، فعهد إليه أن يحرس ابنه الأوحد في غدوه ورواحه ليدفع عنه الأذى ويصد عنه السوء . وابن سعادة البك واهي القوى من الترف ، مضمضع العصب من دلال ، رخو العود من رخاء ، مسلوب العزم — من رفاهية .

ثم تقالى السيد فالحق القروي وابنه المرفه في مدرسة واحدة ليدرأ واحد عن واحد شر التلميذ وعادية المدرسة ، فانطلقا معاً والخادم يتبع سيده في ريث ويقلب البصر في لباسه الأفرنجي الأنيق يتيه في زهو ويتخلع في خيلاء وهو لا يكاد يصدق أنه قذف عن كاهله أعباء الريف وشقاء الحقل ليكون أفندياً يتأنق في زيه ويختال في أبهته ...

وانطوت السنون فإذا الصبي القروي ينكب على الدرس في نهم لا يهمل ولا يتمهل فيسبق أقرانه في سهولة ويسمو على أترابه في يسر . وإذا ابن النعمة يتراخى من ضعف وينحط من كسل فيتخلف عن الركب فيبغض المدرسة ويمقت الكتاب ويجتوى القراءة ، ثم يندفع في شبابه الأول ليرتدغ في أسباب اللهو واللعب وسبله من أمامه معبدة ميسرة ، ثم ينصرف عن المدرسة إلى غير رجعة

ورأى البك فرق ما كان بين ابنه الغض الجميل وبين ابن القروي الفظ الغليظ ، فخاطه أن يسبق الخادم سيده ، وأن يسمو الوضيع على الرفيع ، فتكشفت انسانيته الرقيقة عن حيوانية جارفة تصفع الخادم وقد شب وتما غرسه وشدا طرفا من العلم — تصفعه فتذيقه فنوناً من القسوة والغلظة ، ثم تجذبه من المدرسة إلى الدار ، ثم تدفعه من الدار إلى الشارع

واستحالت صورة البك ، السيد الطيب الرقيق... استحالت صورة — في لمحة واحدة — في عيني الفتى القروي إلى صورة بغيضة إلى نفسه كريهة إلى قلبه ، هي صورة عمه الفظ يوم أن كان يذيقه فنوناً من القسوة والغلظة في غير ذنب ولا جريرة

الآن ، بدا للفتى القروي أن العالم كله لا ينضم إلا على خشونة الطبع وجفاء الخلق ودنس النفس ، أشياء لمسها — زمان —